عالمية الإسلام في القرآن الكريم ودعوته إلى الأخوة الإنسانية

د. يقظان سامي محمد

جامعة بابل /كلية الدراسات القرآنية

قسم علوم القرآن

الخلاصة

عالمية الإسلام في القرآن الكريم ودعوته إلى الأخوة الإنسانية

الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على النبي الامين محمد وعلى آله وصحبه الأخيار المنتجبين الى يوم الدين

وبعد .

عند تأملنا للخطاب القرآني في اسلوبه وفصاحته وبلاغته وبيانه يظهر لنا واضحا وجه بديع من أوجه الاعجاز، وميزه تميز بها عن باقي الكتب السماوية، في شمولية الخطاب القرآني ودعوته للوحدة الإنسانية التي شملت أصناف البشر على اختلاف أشكالهم وأجناسهم وأمكنتهم وطوائفهم وألسنتهم وهذه ميزه رائعة في نظم الصورة القرآنية البليغة التي اخذت على عاتقها جميع الجوانب الإنسانية ، فخاطب القرآن' العقل والعاطفة معا وهو للخاصة والعامة، .قال تعالى(يا أيها الناس أني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا اله إلا هو) سورة الاعراف١٥٨

فالخطاب في هذا النص الشريف للناس في مختلف الطوائف والأديان وفي مختلف الازمنة لا فرق بين اشكال البشر وألسنتهم، للمؤمن والكافر. قال تعالى(يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه) سورة يونس ١٠٤

وكانت دعوات القرآن الى الفضائل السامية والتشريعات الهادية الموجه الى فعل الخير في مختلف الصور، فهو بيان وإرشاد للقلوب الغافلة والعقول الحائرة، والنفوس الضالة، ورحمة للعالمين قال تعالي(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) سورة الانبياء١٠٧فالخطاب واضح في ابراز عالمية القرآن نصا ومضمونا، وجاء البيان على خطاب(الناس) و(العالمين) فالإسلام هو الدين الذي ارتضاه الباري عز وجل الى جميع الخلق، في مختلف العصور.

ودعى القرآن منذ التبليغ الاول الى الأخوة والمحبة والارتباط لأجله سبحانه، فجعل الغني في الاسلام أخا للفقير دون استكبار والابيض أخا للأسود دون تميز والحر أخا للمستعبد دون فضل، فوثقت وثاق الاخوة بأعظم المواثيق وهو ميثاق المحبة لله وخير مصداق لذلك قوله تعالى(انما المؤمنون اخوة) سورة الحجرات ١٠ وقول الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم(الناس بنو آدم وآدم من تراب) فالقرآن لكل البشر ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم لكل الامم ، فرسالته خاتمة الرسلات وهو خاتم الانبياء والمرسلين.

واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الكلمات المقاصة للبحث: الناس، العالمين، الأخوة، الإنسانية

Globalization of Islam Holy Quran and its

Calling for Human Brotherhood

Abstract

When we look at Qurani speech in its style، eloquence and oratorical، then we will obviously see amazing side from its miracle. It has a characteristic which makes it prominent from other

Holy Books. Quranic speech calls for human unity which includes all mankind in spite colors، sex، facial shape، religion and languages. So، it is a wonderful aspect that Holy Quran draws to take place the whole humanity sides. Holy Quran speaks to both mind and emotion and to individual and population. Allah says (O people، I am the messenger of Allah to all of you who has the kingdom of the heavens and earth is no god but Him) Al-Araf verse no. 158. This speech is for all human in different religions and castes and alsoin all time، so no difference of colors and shapes of mankind.

Allah says(O people، have the right to come to you from your Lord، for he is guide is guided to himself) Yonis 104. All Quran claims are for good aspects and right legalizations which direct to well-being work in different situations. It is guide to closed hearts، distrait minds and lost souls. (We sent you thee mercy to the worlds) Al-Anbeya'a107. This text indicates the universal of Holy quran.

so ،Holy Quran from the first time of its emergence calls for love and related with our Lord the ، and white man is brother to black one،He makes rich person is brother to poor one and prophet ،approval to these claims is verse10 in Surat Al-hujarat(Believers are brothers) Adam from ،Mohammad (peace be upon him and his households) (people sone of Adam Holy Qurn for all mankind and Mohmmad(peace be upon him and his households) ، So،dust) his message is last one and he was last Messengers and prophets.،for all nations

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ذي القدرة والسلطان والرأفة والامتنان. احمده على تتابع النعم، وأعوذ به من العذاب والنقم، واشهد ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له مخالفة للجاحدين ومعانده للمبطلين وإقرار بأنه رب العالمين، واشهد ان محمداً عبده ورسوله ختم به النبين وبعثه رحمة للعالمين (o).

وبعد

عند تأملنا للخطاب القرآني في أسلوبه ونظمه وفصاحته وبلاغته وبيانه، يظهر لنا واضحا وجه بديع من أوجه الإعجاز القرآني، وميزة تميز بها عن باقي الكتب السماوية في شمولية الخطاب القرآني ودعوته للوحدة الإنسانية، التي شملت أصنافاً مختلفة من البشر في أشكالهم وأجناسهم وأمكنتهم وألسنتهم ومعتقداتهم.

وهذه ميزة رائعة في نظم الخطاب القرآني البليغ الذي اخذ على عاتقه جميع الجوانب الإنسانية. فهو للخاصة والعامة. قال تعالى:**[قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] {الأعراف:١٥٨}**

فهذا أمر من الله تعالى لنبيه (o) أن يخاطب الناس في مختلف الملل وفي مختلف الأزمان لا فرق بين أشكال البشر وألسنتهم، للمؤمن والكافر. قال تعالى: **[قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] {يونس:١٠٤}** وكانت دعوات

القرآن الكريم إلى الفضائل السامية والتشريعات الهادية الموجه إلى فعل الخير في عدة مواضع. فهو هداية وإرشاد للقلوب الغافلة والعقول الحائرة، والنفوس الضالة، ورحمة للعالمين.

وسوف نبرز في هذا البحث عالمية الإسلام في القرآن الكريم وانه لجميع البشر في مختلف العصور لا تحده حدود ولا تمنعه فواصل، جاء لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور...قال تعالى:**[وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ] {الأنبياء:١٠٧}**

وأنتظم البحث على ثلاثة مباحث تسبقها مقدمة وتليها خاتمة وقائمة بأسماء المصادر والمراجع على الشكل الاتي:

المبحث الأول: الخطاب القرآني بمفردة الناس. فالإسلام هو الدين الذي ارتضاه الباري عز وجل لجميع الخلق.

المبحث الثاني: الخطاب القرآني بمفردة (العالمين) الإسلام هو دين عالمي لكل الطوائف الذي ارتضاه الباري عز وجل لجميع الخلق. ومحمد (o) رحمة لكل البشر.

المبحث الثالث: الإسلام يدعو إلى الأخوة الإنسانية. ومشتقاتها، فالبشر جميعا أخوة في الإنسانية سواء اتفقوا في العقيدة أو اختلفوا. فكلهم لآدم. جاء ذلك في قول الرسول الأعظم (الناس بنوا ادم وآدم من تراب)[١].

فالقرآن لكل البشر ومحمد(o) لكل الأمم، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الباحث

تمهيد

الإسلام خاتم الأديان ومحمد (o) خاتم الأنبياء والمرسلين فلابد ان يكون هذا الدين في أروع صورة في نظرته الشاملة إلى الإنسانية، فعندما جاء الإسلام بدأ بالانتشار تدريجياً، ففي البداية أمر النبي (o) بإنذار المقربين من أهله وعشيرته كما ورد في قوله تعالى: **[وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ] {الشعراء:٢١٤}** كي يرتكز الإسلام وتصلب نواته ويكون أكثر قدرة واستعداداً للانتشار. بعد ذلك جاءت المرحلة الثانية بإنذار العرب كما في قوله تعالى: **[كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] {فصِّلت:٣}** وعندما ترسخت قواعد الإسلام بين هؤلاء القوم، أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم محمد (o) بأوسع من ذلك بأن ينذر العالم والناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور كما في قوله تعالى: **[تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا] {الفرقان:١}**

المبحث الأول: الخطاب القرآني بمفردة (الناس)

القرآن الكريم هو الكتاب المقدس والمصدر الرئيس الواضح للتشريع وهو الأنموذج الأرقى في معرفة مشكلات الأزمنة المتناقضة ووضع الحلول الناجحة لها.

---

[١] مستند احمد، احمد بن حنبل : ٢/ ٥٢٤، ت(٢٤١هـ) دار صادر- بيروت- لبنان.

فالفهم المتكامل لمناخ القرآن يقضي بإنسانية رسالته بعيدا عن النظرة الإقليمية الضيقة، ومن هذا المنطلق يمكن القول (ان القرآن وان كان عربي النص إلا انه عالمي الدلالة) [١]. فالباري عز وجل سيحاسب كل إنسان على قدر علمه ومعرفته وعلينا ان نخاطب الآخر بكل مودة ورحمة.... وان نجسد كل تعاليم القرآن الكريم وتشريعاته على ارض الواقع في التعامل مع باقي الطوائف والديانات على مختلف الألوان والألسن وسنبين بعض النصوص القرآنية الواردة بها مفردة (الناس).

قال تعالى: **[يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] {الحجرات:١٣}** يبين النص الشريف ان البشر كلهم من أبٍ واحدٍ لا فرق بينهم، فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب، فلا ترجيح أحد على احد في ما خلقوا منه فالجميع من ذكر وأنثى، والله واحد الذي خلقكم. فإن كان هناك بينكم أيها البشر تفاوت يكون بأمور تلحقكم وتحصل بعد وجودكم، واشرفها التقوى والقرب من الله سبحانه وتعالى[٢].

جاء عن أبي هريرة(ﷺ) قال: قال رسول الله(o)(....الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب)[٣]، والحديث صحيح[٤]. بين الرسول الكريم (o) في هذا القول الشريف انه لا تفاخر ولا تفاضل بين أجناس البشر لان الأصل، والتفاضل يكون على أساس العمل والتقوى والإخلاص. فكان من أصحاب رسول الله(o) صهيب الرومي وبلال الحبشي، وسليمان الفارسي جنبا إلى جنب مع إخوانهم من العرب. فلا سبيل واثر في التمايز والتفاضل إلا بالتقوى.

عن علي بن أبي طالب(عليه السلام) عن رسول الله (o) قال:(إلا ان الجنة اشتاقت إلى أربعة من أصحابي فأمرني ربي ان احبهم فانتدب صهيب الرومي وبلال بن أبي رباح....)[٥]. وهذا خير دليل على ان الرسول (o) لم يفرق بين أصحابه على أساس اللون أو اللسان أو الطائفة. وإنما العمل والتقوى هو المعيار في التفاضل.

وجاء في نص اخر خطاب الناس. قال تعالى: **[قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ...] {الأعراف:١٥٨}.**

في تفسير هذا النص الشريف خطاب للنبي محمد (o) انه مبعوث للناس كلهم، لا إلى بعضهم دون بعض. كما كان من قبل النبي محمد(o) من الرسل الذين كانوا مرسلين لبعض الناس[١]. وعبارة **(إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)** أي جميع البشر

---

[١] ظ. نظرات معاصره في القرآن الكريم، الدكتور محمد حسين علي الصغير: ص٢٤، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، دار المؤرخ العربي- بيروت - لبنان.

[٢] ظ، مفاتيح الغيب- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي: ٢٨/ ١٣٨، ت(٦٠٦هـ).

[٣] السنن الكبرى، البيهقي: ١٠/ ٢٣٢،ت(٤٥٨هـ) دار الفكر .

[٤] مجمع الزوائد- الهيثمي: ٨/٨٤، ن(٨٠٧) ١٤٠٨-١٩٨٨م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

[٥] ظ، المعجم الأوسط، الطبراني: ٧/ ٣٠٥، ت(٣٦٠) قسم التحقيق بدار الحرمين، د. ط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع .

ادعوكم إلى طاعة الله سبحانه وتعالى ولفظة (**جَمِيعًا**) تفيد العموم جاءت للتأكيد ان رسول الله محمد (o) مبعوث إلى كافة البشر دون استثناء[٢]. وقوله تعالى:**[الَّذِي لَـهُ مُلْـكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ] {الأعراف:١٥٨}** فهي صفات وصف الله بها جل وعلا. وهي بمجموعها بمنزلة تعليل لكشف به إمكان الرسالة المحمدية من الله في نفسها وعمومها بجميع البشر[٣]. وقد فندت هذه الآية الكريمة أباطيل اليهود الذين قالوا ان محمداً(o) رسول الله مبعوث إلى العرب وحدهم[٤]. لأن قوله تعالى(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**) خطاب يتناول جميع الناس دون تميز لون على اخر وطائفة على أخرى. وهذه من خصائصه (o) التي تميز بها عن باقي الرسل. فالذي يتبع محمداً(o) سينال سعادة الدارين الدنيا والآخرة– وتلك السعادة غير مختصة بأحد، بل لكل من يتبعه كائنا من كان.

فأمنوا به من مناطق مختلفة وعاشوا أخوة في ظل الدولة الإسلامية، التي تعتبر رسالتها خاتمة الرسل السماوية. وانها الشريعة التي تستوعب كل قضايا الإنسانية وتفتح عليها عبر الزمان والمكان. وهذا يدحض مزاعم اليهود الذين قالوا: ان الدين الإسلامي لا يصلح إلا لأهل البادية فقط. وانه دين القتل والإرهاب، مجافٍ الرقي والازدهار والتقدم.

وفي نص اخر قال تعالى في محكم كتابه العزيز:**[يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا]. {النساء:١}.** بيّن الباري عز وجل في هذا النص الشريف ان جميع الخلق هم من آدم وحواء. واخبر كذلك بأنهم من نفس واحدة أي من طينة واحدة[٥]. وهم ناس متحدون في الواقع الإنساني من غير اختلاف فيها بين الرجل والمرأة والصغير والكبير والعاجز والقوي حتى لا يجحف الرجل منهم بالمرأة ولا يظلم كبيرهم الصغير[٦] فهو خطاب يعم المكلفين من لدن نزل إلى يوم القيامة وتكرر الخطاب القرآني بمفردة (**النَّاسُ**) مئتان وواحد وأربعون مرة[٧]. ولم يختص بمفردة (المؤمنين) في هذا النص، وهذا من أوصاف الربوبية التي تتكفل امر التدبير والتكميل لا من شؤون الألوهية[٨]. وعلى هذا الأساس لا مبرر للتمييز العنصري، والطائفي واللغوي، والمحلي، وما شابه ذلك. ومما يسبب في عالمنا الراهن كثير من المشاكل في مختلف

---

(١) ظ، جامع البيان- ابن جرير الطبري: ٩/ ١١٦، ت(٣١٠هـ) تحقيق خليل الميس، د. ط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت- لبنان.

(٢) ظ. مجمع البيان- الطبرسي: ٤/ ٣٧٥، ت(٥٤٨هـ) تحقيق لجنة من العلماء والمحققين، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – بيروت -لبنان .

(٣) تفسير الميزان، الطباطبائي: ٨/ ٢٨٣، ت(١٤١٢هـ) منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم.

(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل- ناصر مكارم الشيرازي: ٣٨٢/٤.

(٥) ظ. التبيان - الطوسي: ٥/ ٥٢، ت(٤٦٠هـ) تحقيق احمد حبيب، ط١، ١٤٠٩هـ، مكتب الإعلام الإسلامي.

(٦) تفسير الألوسي: ١٧٩/٤، ت(١٢٧٠هـ).

(٧) ظ، تفسير الميزان، الطباطبائي: ١٢٤/٤.

(٨) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم- محمد فؤاد عبد الباقي: ٩٠٦، ط٦، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.

المجتمعات البشرية لأن كافة البشر على اختلاف ألوانهم، وأقطارهم، ولغاتهم يرجعون إلى أب واحد وأم واحدة[١]. فحق البشر بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه؛ لاجتماعهم في النسب إلى اصل واحد. وان الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض. فليتحابوا وليتناصفوا، ولا يتظالموا، ويبذل القوي من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما الزمه الله سبحانه وتعالى له فقال(الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم[٢]. قال رسول الله (o) (ان الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على الأعجمي، ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى)[٣].

ظهر واضحاً من الحديث الشريف ان رسول الله محمد (o) ورسالة الإسلام لا تفرق بين أجناس البشر وطوائفهم وألوانهم وأعراقهم المختلفة، بل جاء لكل البشر.

روى أبو إسحاق الهمداني* ان امرأتين أتتا عليا (عليه السلام) إحداهما من العرب والأخرى من الموالي**. فسألتاه، فدفع إليهما دراهم وطعاما بالسواء، فقالت إحداهما: اني امرأة من العرب وهذه من العجم فقال: اني والله لا اجد لبني إسماعيل في هذا الشيء فضلا على بني إسحاق[٤].

وترك الإمام علي (عليه السلام) التفضل لنفسه وولده على احد من أهل الإسلام: (دخلت عليه أخته ام هاني بنت أبي طالب فدفع إليها عشرين درهما. فسألت ام هاني مولاتها العجمية فقالت كم دفع إليك أمير المؤمنين(عليه السلام) فقالت عشرين درهما فانصرفت مسخطة، فقال لها: انصرفي رحمك الله ما وجدنا في كتاب الله فضلا لإسماعيل على إسحاق)[٥]. في هذه الروايات وضح الإمام علي(عليه السلام) منهاجه الإسلامي: المساواة في الحقوق والعدل بين الناس، ومنهاجه الاقتصادي المساواة في العطاء بين فئات المجتمع، ومنهاجه الاجتماعي ليس في الإسلام شريف ومشروف ولا احمر واسود ولا عربي واعجمي، وإنما اكرم الناس احسنهم عملا.

وان الله سبحانه وتعالى امر جميع الناس بالعبادة له في قوله تعالى:**[يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]. {البقرة٢١}**.. فلو خرج بعض الناس عن هذا الخطاب لكان ذلك تخصيصا للعموم وان

---

[١] ظ. الأمثل في كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ٣/ ٨٠.

[٢] ظ. جامع البيان، ابن جرير الطبري: ٤/ ٢٩٦.

[٣] مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ١٢/ ٨٩، ت(١٣٢٠هـ) تحقيق مؤسسة ال البيت(عليهم السلام)، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م مؤسسة ال البيت(عليهم السلام) لإحياء التراث، بيروت -لبنان.

[٤] بحار الأنوار، المجلسي: ٤١/ ١٣٧، ت(١١١١هـ) تحقيق محمد باقر البهبودي، ط٢، المصححة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان.

* أبو إسحاق الهمداني، السبعي الكوفي تابعي من أصحاب الصادق(A) ثقة. معجم رجال الحديث- الخوئي١٤/١٢١، ت(١٤١١هـ)، ط٥، ١٤١٣- ١٩٩٢م.

** الموالي: قوم من العجم، لسان العرب- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، ٤/٢١٠، (ت)، ١٤٠٥هـ، نشر أدب الحوزة- قم ايران.

[٥] جامع احاديث السبعة، البر وجردي: ١٣/ ٢٠٢، ت(١٣٨٣هـ) د. ط، ١٤٠٧هـ، منشورات مدينة العلم، آية الله العظمى الخوئي، قم -ايران.

لفظ الجمع(الناس) جاء مُعَرفاً بلام التعريف، فهذا يفيد العموم. وهو مرادف لقوله تعالى**[فَسَجَدَ المَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ] {الحجر:٣٠}** بالتواتر من دين محمد (o) ان الخطاب بلفظ **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ)** يتناول جميع الناس الموحدين في ذلك العصر ومن سيوجد بعد ذلك إلى قيام الساعة فهذا امر الله سبحانه وتعالى. ولو لم يكن اللفظ في اصله للعموم لما كان قوله(كلهم) تأكيدا بل بيانا[١]. والذي عرف الكل بالعبادة، وهذا يشمل حتى الإنسان الكافر فهو خطاب بالعبادة وشرط الإتيان بها الإتيان بالإيمان اولا ثم الإتيان بالعبادة بعد ذلك.

جاء عن ابن عباس قال: قال الله **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ.....)** للفريقين جميعا الكافر والمنافقين. فهو خطاب شامل لا يختص لعنصر أو قبيله أو طائفه أو فئة خاصة بل دعوة عامه لكل البشرية مسلما كان أو كافرا[٢]. حرا أو عبدا إلا ما أخرجه الدليل من الصبيان والمجانين والدعوة كذلك تشمل الجن والأنس قال تعالى**[وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] {الذاريات:٥٦}.** قال الإمام العسكري(عليه السلام) قال علي بن الحسين(عليه السلام) في قوله تعالى**([يَا أَيُّهَا النَّاسُ..]** يعني سائر الناس المكلفين من ولد آدم(عليه السلام)[٣].

وفي النص المذكور أعلاه جانب تربوي عام يصلح لكل الناس يدعوهم إلى عبادة الله جل شأنه. فهو إرشاد إلى كل البشر، فالباري عز وجل لا يرضى لهم الضلال وان الإغلاظ عليهم ليس إلا حرصا على صلاحهم وانه غني عنهم. قال تعالى:**[يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ] {فاطر:١٥}**. فهو جلت قدرته كما يفعله المربي الناصح حين يوبخ أو يزجر. فيرى انكسار نفس مرباه فعند ذلك يجبر خاطره بكلمة لينة، فلم يترك الله سبحانه وتعالى من رحمته لخلقه حتى في حال عتوهم وضلالهم.

وقد نادى الإسلام بالمساواة بين البشر فقد جاء على لسان النبي(o) قوله (كلكم لآدم وآدم من تراب)[٤] وتحدى الإسلام حسابات المادية التاريخية* فبشّر بمجتمع عالمي يجمع الإنسانية كلها على صعيد واحد وعمل جاهداً في سبيل تحقيق هذه الفكرة في بيئة كانت مليئة بالصرعات القبلية، وتزجر بآلاف المجتمعات العشائرية المتناقضة. ففز بتلك الوحدات إلى وحدة إنسانية كبرى لا تحدها حدود الدم والقرابة والجوار[٥]. قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه **العزيز: [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا] {سبأ٢٨}**. فالإسلام بشريعة كاملة شاملة جاء ليحكم مجتمع الإنسان. فكل الأنظمة التي جاء بها القرآن كالنظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لا تجد في ثناياها أي تفكير طائفي، أو نزعة إقليمية ضيقة. سواء أكان ذلك في العبادات أو المعاملات قال تعالى: **[إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا**

---

[١] ظ. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي: ٨٢/٢.

[٢] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ١١١/١.

[٣] تأويل الآيات، شرف الدين الحسني: ٤٠/١، تحقيق مدرسة الإمام المهدي(عج)، ط١، ١٤٠٧هـ، أمير- قم.

[٤] وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٦/ ٤٢، ت(١١٠٤هـ) تحقيق مؤسسة ال البيت(عليهم السلام) ، ط٢، ١٤١٤هـ، مهر -قم.

*المادية التاريخية: وهي الوجه العلمي للماركسية أي الفهم المادي للتاريخ وتفسير المجتمع والتاريخ بعامل واحد. اقتصادنا- محمد باقر الصدر.

[٥] ظ، اقتصادنا ،محمد باقر الصدر، ص٣٢٧، ت(١٤٠٢هـ) تحقيق مكتب الإعلام الإسلامي- فرع خرسان، ط٢، ١٤٢٥هـ، مكتب الإعلام الإسلامي.

حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ] {النساء:٥٨}. تضمنت هذه الآية الشريفة حكما عاما شاملا لجميع الناس، فمن الواضح ان للأمانة معنى واسعاً يشمل كل شيء مادي ومعنوي، ويجب على كل مسلم بصريح منطوق هذا النص ان لا يخون أحدا في أية أمانة دون إستثناء سواء كان صاحب الأمانة مسلما أو غير مسلم. فتشمل كل البشر وقول عن مجاهد انها عامة في كل دين[١] جاء في الحديث: (ان صبيين ترافعا إلى الإمام الحسن(عليه السلام) بن علي(عليه السلام) في خط كتباه وحكّماه في ذلك ليحكم أي الخطين أجود. فبصر به الإمام علي(عليه السلام) فقال: (يا بني انظر كيف تحكم فإن هذا حكم والله سائلك عنه يوم القيامة)[٢] ان هذين القانونين المهمين (حفظ الأمانة– العدالة في الحكم والحكومة) يمثلان قاعدة المجتمع الإنساني السليم فلا يستقيم أمر مجتمع سواء كان ماديا أم إلهيا من دون تنفيذ وإجراء هذين الأصلين[٣].

وهناك كثير من الشواهد والدلائل التاريخية التي تدل على أن النبي(o) قد بعث الرسائل لرؤساء وملوك الدول القائمة أنذاك مثل قيصر الروم وكسرى ايران وحكام مصر والشام والحبشة وغيرهم، ودعاهم جميعا لاعتناق هذا الدين المقدس. فلم يستثني أحدا عن الإلزام العملي بهذا الدين الإلهي[٤].

وهناك مسألة في الفقه الإسلامي هي: انه لو دفع أهل الكتاب الجزية فلهم الأمان في ظل الدولة الإسلامية. ويمكنهم العمل بأحكام شريعتهم[٥]. وهذا دليل على اعتبار سائر الأديان ومكافحته للنزاعات الإقليمية والطائفية والعنصرية وعدم اعتبارها مقياس للتفاضل في ميزان الإسلام، والمقياس الوحيد هو التقوى والعمل الصالح**[إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ] {الحجرات:١٣}**. قال تعالى: **[وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا] {النساء:١٢٤}.**

فقضى الباري عزوجل على عبودية البشر للبشر وأعتبرهم جميعاً مخلوقات لله تعالى، وبهذا يكون قد وضع صمام الأمان على كل نزعة نحو الطغيان على أساس العرق أو اللون أو اللسان، وان الاعتقاد بمساواة البشر شرط لابد منهُ لقيام العدل الذي جعله القرآن الكريم غاية النبوات[٦]. قال تعالى: **[لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ] {الحديد:٢٥}**

المبحث الثاني: الخطاب القرآني بمفردة العالمين

---

[١] مفاتيح الغيب- الرازي: ١١٠/٧.

[٢] مجمع البيان، الطبرسي: ٢/ ١١٣.

[٣] ظ. الأمثل تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ٣/ ٢٨٥.

[٤] ظ. مكاتيب الرسول(o) علي الأحمدي الميانجي: ٢/ ٣٦٧، ط١، ١٤١٩هـ - دار الحديث -طهران.

[٥] ظ. شرائع الإسلام، المحقق الحلي، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن، ت (٦٧٦هـ) تحقيق صادق الشيرازي، ط٢، ١٤٠٩هـ، أمير قم.

[٦] الحقوق الاجتماعية- مركز الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ، مهر- قم.

وردت لفظة (العالمين) في القرآن الكريم ثلاثة وسبعون مرة، جاءت مجرورة باللام بحدود أحد عشر مرة[١]. قال تعالى:**[وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ] {الأنبياء:١٠٧}.**

بعث الله سبحانه وتعالى محمد (o) للناس كافه، وجعله رحمة للعالمين، فصدع بما أمره الله سبحانه وتعالى. وبلغ رسالات ربه فلم به الصدع ورتق به الفتق، وآمن به السبل وحقن به الدماء، وألفّ به بين الناس[٢].

جاء عن ابن عباس(ﷺ) في تفسير **[وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ]** ان الله أرسل محمداً (o) نعمةً ورحمةً للبر والفاجر، المؤمن والكافر فهو رحمةٌ للمؤمن في الدنيا والآخرة ورحمة للكافر بأن عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والمسخ. وروي ان النبي(o) قال لجبرائيل(عليه السلام) لما نزلت هذه الآية: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال : نعم اني كنت اخشى عافية الأمر فآمنت بك لما اثنى الله علي بقوله **[ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ] {التَّكوير:٢٠}**[٣] فالرسل خلقوا للرحمة، ومحمد (o) خلق بنفسه رحمة، فلذلك صار أماناً للخلق[٤].

وبالرجوع إلى النص الأول **[وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ] {الأنبياء:١٠٧}.** نلاحظ ان التعبير بلفظ (العالمين) له اطار واسع يشمل كل البشر من ولد آدم. واستغراق كل ما يصدق عليه اسم العالم، والعالم: الصنف من أصناف ذوي العلم. أي الإنسان أو النوع من أنواع المخلوقات ذات الحياة. وان وجوده رحمه وإمام وقدوة حسنة لكل الناس إلى اخر الزمان حتى قيل ان هذه الرحمة تشتمل الملائكة ايضا[٥]. وفي عالمنا اليوم نحن بأمس الحاجة إلى هذه الرحمة الواسعة التي جعلها الباري عز وجل في ختام رسالاته وأنبياؤه.

وسوف يتبين اكثر وأكثر معنى كون النبي(o) رحمة للعالمين، واي رحمة اسمى من انه أتى بدين إذا عمل به فأنه يعني نهاية كل الظلم والجور وأيام البلاء، فكل أوامره ودينه وأخلاقه رحمة للإنسانية جمعاء.

ومن الأدلة على كون النبي (o) رحمة للعالمين أن الحنفية شريعة إبراهيم (عليه السلام) كانت رحمة خاصة بحالة الشخص في نفسه وليس فيها تشريع عام، وشريعة عيسى(عليه السلام) اقرب منها في ذلك، وأما شريعة محمد (o) فهي رحمة لكل العالمين جاء عن أبي هريرة(ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) (يا أيها الناس إنما انا رحمة مهداة) [٦] والرحمة في كلام العرب العطف والرأفة والإشفاق[٧]. فهو الهادي إلى سبيل الرشاد والقائد إلى رضوان الله سبحانه وتعالى، وبسبب هوايته

---

[١] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم- محمد فؤاد عبد الباقي: ٦٦٨.

[٢] ظ. الارشاد، المفيد: ١/ ٢٤٤، ت(٤١٣هـ) تحقيق مؤسسة ال البيت(عليه السلام)، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت - لبنان.

[٣] ظ. مجمع البيان، الطبرسي: ٧/ ١٢١.

[٤] الجامع لأحكام القرآن- لابي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي: ٦٣/٤ ، ت(٦٧١هـ) تحقيق أبو إسحاق إبراهيم، ط٢، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

[٥] الأمثل في كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ١٠/ ٢٦٤.

[٦] المستدرك- الحاكم النيسابوري: ٣٥/١، ت(٤٠٥هـ)، تحقيق يوسف عبد الرحمن، دار المعرفة- بيروت- لبنان.

[٧] لسان العرب- ابن منظور: ٢٣/٢، ت(٧١١هـ)، ١٤٠٥- نشر أدب الحوزة – قم - ايران.

يكون وصول الخلق إلى المقاصد العالية ودخول جنات النعيم التي هي غاية الرحمة، وقد رحم كثيراً من أعدائه كاليهود والنصارى والمجوس برفع السيف عنه ويذل الأمان لهم قال (o) (من آذى ذميا فقد أذاني)[١].

وجاء عن واثلة* قال: قال رسول الله (o) (من قذف ذميا حد له يوم القيامة بسياط من نار فقلت لمكحول من اشد ما يقال له قال له يا ابن الكافر)[٢].

وذكر لفظ (العالمين) بنص قرآني اخر. في قوله تعالى: **[إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ] {آل عمران:٩٦}.** فأول بيت بني للناس، ولم يكن قبله بيت مبني، وهو أول بيت وضع للعبادة[٣]. أول بيت وضع للناس لأجل خير البشرية في نقطة من الأرض محفوفه بالبركات، غنية بالخيرات، وضع ليكون مجتمع الناس وملقاهم. فالكعبة المشرفة أول مركز للتوحيد وأقدم معبد بني على الأرض ليعبد فيه الله سبحانه وتعالى، وتشير المصادر الإسلامية والتاريخية بأن الكعبة المشرفة تأسست على يدي آدم (عليه السلام) ثم تهدمت بسبب الطوفان الذي وقع في عهد النبي نوح(عليه السلام) ثم جدد بنائها النبي إبراهيم (عليه السلام) وهي بيت لكل الناس ولخدمتهم[٤]. ولكون البيت موضع للناس يقضي كونه مشتركا فيه بين جميع الناس فأما سائر البيوت فيكون كل واحد منها مختصا بواحد من الناس فلا يكون شيء من البيوت موضعا للناس. ولما كان البيت مشتركا فيه بين كل الناس، لا يحصل إلا اذ كان البيت موضوعا للطاعات والعبادات فيكون قبلة للصلوات وموضعا للحج ومكانا يزداد ثواب العبادات والطاعات فيه[٥].

وجاء في نص اخر قوله تعالى: **[إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ] {ص:٨٧}** . ان لفظة (العالمين) من الكلمات الجديدة التي أنشأها القرآن الكريم فلم تأت في أي نص جاهلي قبل الإسلام شعراً أو نثراً. فهي ليست مما يعرفه العرب، لذلك اجتهد الصحابة (رضي الله عنهم) والتابعون في استخراج معناها من خلال القرآن واشتهر في تفسيرها، إنها ما سوى الله تعالى فكل ما في الكون هو من العالمين[٦]. وقال الطبري في تفسير (العالمون) جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظة كالأنام، والرهط والجيش، ونحو ذلك من الأسماء التي هي موضوعات على جماع لا واحد له من لفظة، والعالم اسم لأصناف الأمم وكل

---

[١] ظ. الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي: ٣/ ١٣، ت(٨٧٧هـ) تحقيق محمد الباقر ، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

* واثلة بن الاسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب الليثي، من أصحاب الصفة أسلم سنة تسع وشهد غزوة تبوك، وكان من فقراء المسلمين، سير أعلام النبلاء – الذهبي: ٣٨٣/٣، ت(٧٤٨هـ)، تحقيق شعيب الارنؤوط، ط٩، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة – بيروت- لبنان.

[٢] مجمع الزوائد، الهيثمي: ٦/ ٢٨٠، ت(٨٠٧هـ) د. ط، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان.

[٣] ظ. مجمع البيان، الطبرسي: ٢/ ٣٤٧.

[٤] ظ. الأمثل في كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ٦٠٤/٢.

[٥] ظ. مفاتيح الغيب، الرازي: ٨/ ١٥١.

[٦] تفسير الميزان، الطباطبائي: ١١/ ٢٧٥، ت(١٤١٢هـ) منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية. قم المقدسة.

صنف منها عالم واهل كل قرن من كل صنف منها عالم ذلك القرن وذلك الزمان فالأنس عالم، وكل أهل زمان منهم عالم ذلك الزمان والجن عالم وكذلك سائر أجناس الخلق لذلك جمع فقيل (عالمون)[١].

والكلمة انتهت بالواو والنون وهما لا يكونان في الجمع إلا مع العاقل فيكون هذا دليلا عن أن الحديث عن عوالم عاقله، ونستبعد الجمادات وكل ما عدا العاقل. وقال ابن عباس لجمع المكلفين من الجن والأنس[٢]. فالنبي محمد(o) جاء متجرداً عن الذات والمصلحة العنصرية والإقليمية وغيرها من الانتماءات المادية فهو متصل بمشكاة النور الإلهي المهيمن على جميع الحدود والقيود. قال تعالى**[تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا] {الفرقان:١}** أي ان الله سبحانه وتعالى خص محمداً(o) وشرفه بهذا الشرف العظيم بحمل لواء القرآن الكريم المبين المفصل المحكم**[لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ] {فصِّلت:٤٢}** ليخصه بالرسالة إلى من يستظل الخضراء ويستقل على الغبراء كما قال(o) (بعثت إلى الناس كافه الأحمر والأسود)[٣] فرسالته عالمية لا تفرق بين أجناس البشر كلهم سواء دون تمايز ولا تفاضل إلا بالعمل الصالح.

جاء عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله(o) يقول:(ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يزال الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين يعز عزيز أو يذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلا يذل به الكفر)[٤] والحديث صحيح[٥]. أي ان الرسالة الألهية تشمل بقاع العالم المختلفة ما بلغها الليل والنهار وتدخل كل بيت على وجه الكون وسيأنس بخيرها كل البشر للعيش بسعادة

المبحث الثالث: الإسلام يدعو إلى الأخوة الإنسانية

الأخوة في معناها العام هي درجة من درجات القرابة والدم تجعل للمرء على أخيه حقوقا لا متناهيه وواجبات لا تعد ولا تحصى.

ولكن الأخوة في الإسلام جاءت بمفاهيم مغايره وغير تقليديه فصارت الأخوة مفهوماً عظيماً، وعلاقات واسعه متحرره من رباط النسب والدم موثقه برباط اهم واعظم وهو الرباط الإلهي، غايتها رضاه سبحانه وتعالى وبلوغ اعلى درجات القرب منه.

فالأخوة والمحبة والارتباط لأجله سبحانه جعلت الغني في الإسلام أخا للفقير دون استكبار وجعلت الأبيض أخا للأسود دون تميز والحر أخا للمستعبد دون فضل، فوثقت وثاق الأخوة بأعظم المواثيق وهو ميثاق المحبة في الله.

---

[١] جامع البيان، ابن جرير الطبري: ١/ ٩٤، تحقيق خليل الميس، دار الفكر للطباعة بيروت لبنان .

[٢] ظ. تفسير ابن كثير، ابن كثير: ٤/ ٤٨، ت(٧٧٤هـ) تحقيق يوسف عبد الرحمن، د. ط، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، لبنان.

[٣] مسند احمد، احمد بن حنبل: ١/ ٣٠١.

[٤] م. ن: ٤/ ١٠٤.

[٥] مجمع الزوائد- الهيثمي: ١٤/٦.

قال تعالى([**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**]{**الحجرات:١٠**}. لقد تكررت لفظة (أخ) في القرآن الكريم وجاء استعمالها للتعبير عن علاقة الأخوة الحقيقة بين الأشقاء وغير الأشقاء كما جاء في قصة ابني آدم(عليه السلام) بقوله تعالى[**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ**] {**المائدة:٣٠**}.

واستعملت في المعنى نفسه لوصف العلاقة في قصة يوسف مع الأخ الشقيق في قوله تعالى[**وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ(٧٠)]. {يوسف}**. فالبشر جميعا أخوة في الإنسانية سواء اتفقوا في العقيدة ام اختلفوا سواء كانوا اخوه أشقاء أو غير أشقاء كما جاء عن علاقة يوسف(عليه السلام) بإخوته غير الأشقاء، قيل إيمانهم به كنبي وخوف نبي الله يعقوب(عليه السلام) من كيدهم، وكذلك تكرر استعمال القرآن الكريم بهذه المفردة (أخ) ومشتقاتها للتعبير عن علاقة الأخوة بين الأنبياء(عليهم السلام) كما جاء في قصة موسى وهارون (عليهما السلام) بقوله تعالى [**وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا**] {**القصص:٣٤**} واستعملت هذه المفردة ايضا بنفس المعنى للتعبير عن العلاقة بين الأنبياء وأقوامهم من الكفار. فكان وصف القرآن للنبي بأنه (اخوهم) حتى لو كانوا كفارا وماتوا بكفرهم ودخلوا النار كما في قوله تعالى:[**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ**۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ] {**الشعراء:١٠٥-١٠٦**} وفي نهاية الآيات يتبين إصرار قوم نوح على الكفر ورفضهم دعوة نبي الله. ولكن هذا لا يمنع انهم أخوة في الإنسانية.

وكان واضحا في قصة نبي الله هود(عليه السلام) بقوله تعالى: [**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ**] {**الشعراء:١٢٤**} وفي نهاية الحوار بينه وبين قومه بقوله تعالى [**فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ**] {**الشعراء:١٣٩**}،فرغم تكذيبهم لنبي الله هود، وكان أكثرهم من الكفار إلا أن الباري عز وجل جعل نبي الله هود(عليه السلام) اخوهم.

وأمثلة القرآن الكريم كثيرة ومنها كما في قصص الأنبياء(عليهم السلام) (صالح – وشعيب – ولوط).

واستعمل القرآن الكريم لفظة (أخ) ومشتقاتها لوصف علاقات إنسانية بين البشر دون التدخل في مسألة العقيدة.

فتارة تأتي بين المنافقين والكفار وتصفهم بأنهم أخوة كما في قوله تعالى: [**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ..**] {**الحشر:١١**}.

والإسلام هو دين التسامح والمحبة والأخوة، قال رسول الله(o) (بعثت بالحنفية السمحة)[1]، وللتسامح قيمة كبرى في الإسلام فهو نابع من السماحة بكل ما تعنيه من حرية ومن مساواة في غير تفوق جنسي أو تميز عنصري، بحيث امرنا ديننا الحنيف الاعتقاد بجميع الديانات قال تعالى: [**آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**]{**البقرة:٢٨٥**}.

وظهر ذلك واضحا في التسامح الإسلامي الذي ربط علاقات المسلمين بباقي أهل الديانات الأخرى حيث دعي القرآن الكريم إلى مجادلة باقي الديانات بالتي هي احسن ومحاولة إقناعهم بالحكمة والموعظة الحسنة بقوله تعالى:[**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**] {**النحل:١٢٥**}، وقام الإسلام على المبدأ الرباني بعدم

[1] مجمع الزوائد، الهيثمي: ٤/ ٢٥٢.

الإكراه في الدين. كما في قوله تعالى**[لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ] {البقرة:٢٥٦}**. وأمر القرآن الكريم المسلمين بالبر ومصداق ذلك قوله تعالى: **[لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ] {الممتحنة:٨}.**

أي ان الفئة الكافرة المشركة التي لا تضمر العداء للمسلمين ولا يؤذونهم ولا يحاربونهم ولم يشاركوا في إخراجهم من ديارهم وأوطانهم فلا مانع من الإحسان لهم وإظهار الحب لهم، واذا عقد معهم عهد يجب الوفاء به والسعي لإقامة علاقات القسط والعدل معهم[١]، وهذا مدعاة للأخوة الإنسانية. فإن جميع البشر أصلهم الجسدي واحد، لأنهّم أبناء آدم وآدم خلق من تراب قال تعالى: **[إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] {آل عمران:٥٩}** وقوله تعالى: **[يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ] {الحج:٥}** ، وقد أباح الإسلام للمسلمين طعام أهل الكتاب واحل لهم ذبائحهم قال تعالى: **[اليَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ..] {المائدة:٥}.** بنيت الآية الشريفة ان كل غذاء طاهر حلال وان طعام أهل الكتاب حلال للمسلمين وطعام المسلمين حلال لأهل الكتاب[٢]. وللفقهاء تفصيل أكثر في هذا النص. فالباري عز وجل بين لرسوله الكريم أنه مكلف ان يبلغ الدعوة ويبشر بالإسلام وليس له ان يحمل الناس عليه بالقوة قال تعالى**[فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۞ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ] {الغاشية:٢١-٢٢}** أي لست عليهم بمتسلط تسليط حتى يمكنك ان تدخل الإيمان في قلوبهم وتجبرهم عليه وإنما واجبك يا محمد الإنذار فأصبر على الإنذار والتبليغ والدعوة إلى الحق[٣] وامر الله سبحانه وتعالى خاتم النبين(ﷺ) بأن يجيز ويساعد أي مشرك لو طلب منه المساعدة وان يشعره بالأمان بقوله تعالى: **[وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ] {التوبة:٦}.** وهذا غاية ما يمكن مراعاته من أصول الفضيلة وحفظ الكرامة ونشر الرأفة والرحمة وشرف الإنسانية حفظه واعتبره القرآن الكريم، وندب إليه الدين القويم[٤].

وقد حث الرسول الأعظم محمد (o) على الأخوة بين العباد بقوله (....وكونوا عباد الله أخوانا)[٥]. أي لا يعلو بعضكم بعضا فإنكم جميعا عباد الله[٦].

واكد الرسول (o) في خطبة الوداع على ضرورة نبذ العصبية بأشكالها والتفاخر بأنواعه– وسن ان من حق الناس التفاخر به هو التقوى بقوله (o) (يا أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد فلا فضل العربي على عجمي ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)[١].

---

[١] ظ. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ١٨/ ٢٥.

[٢] المصدر نفسه: ٣/ ٦٠٨.

[٣] ظ. مجمع البيان، الطبرسي: ١٠/ ٣٣١.

[٤] ظ. تفسير الميزان – الطباطبائي: ٩/ ١٥٤.

[٥] صحيح البخاري- البخاري: ١٣٧/٦، ت(٢٥٦)، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

[٦] فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي: ٦/ ٥٠، ت(١٠٣١هـ) تحقيق احمد عبد السلام، ط١، ١٤١٥/ ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية ، بيروت.

يستفاد من الحديث الشريف ان على بني آدم المنتشرين في أرجاء المعمورة والمختلفة ألوانهم ولغاتهم وعقائدهم ان يتعارفوا ويتفاهموا ويتناصحوا ويتركوا أمرهم إلى العليم الخبير ليحكم في مصائرهم.

الخلاصة

ان عالمية الإسلام ضرورة من ضروريات هذا الدين وما على المسلمين إلا ان يفهموا معنى عالمية الإسلام وان يسعوا لتبصر الناس بها حتى تتغير تلك الصورة المشوهة التي أخذها الآخرون عن الإسلام حتى قالو انه دين لا يصلح إلا لأهل البادية، وانه دين يعادي الشعوب ويبتعد عن الحضارة والتقدم، ويجافي الرقي والازدهار. فالإسلام دين يقف بوجه النزاعات الإقليمية والطائفية فهو لا يفرق بين ألوان وأشكال البشر فكل البشر سواء في الأصل لآدم وآدم من تراب، وجعل الإسلام مقياس التفاضل هو التقوى والعمل الصالح، فكل البشر خلق من نفس واحدة، وان الخالق واحد ولم يفرق الإسلام بين أجناس البشر المختلفة فكانت خطابات النصوص القرآنية عامة وشاملة لعامة الناس تشمل المسلم والكافر من العالمين. إذ أعطى الإسلام الحقوق لأهل الذمة بالعيش في دار الإسلام آمنين ولهم حق المواطنة على ان يلزموا بواجباتهم وحماية الدولة الإسلامية لهم والحفاظ على أرواحهم وأموالهم وكرامتهم محفوظة وحقوقهم مصانه. أي ما يعبر عنه في الوقت الحاضر(بمنح الجنسية لهم).

واكد الإسلام كذلك على المحبة والتسامح والأخوة وعلاقة الإنسان بخالقه ليس لأحد التدخل فيها. فما دام الإنسان لا يضر الإنسان من حوله ولا يعتدي عليهم ولا يتدخل في شؤنهم الخاصة فهم أخوة في الإنسانية، وهذا ما كان عليه الأنبياء(Δ) مع الناس المؤمنين والكافرين والمشركين.

وعلاقة الإنسان بالإنسان. الفطرة الإنسانية النقية في أروع صورها تخلق جوا من المساواة والألفة والمحبة وتبادل المنافع والخيرات بين الناس داخل المجتمع وخارجه وهذا مصداق لقوله تعالى: **[إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ]** {**الحجرات:١٣**}. وهذا بيان واضح لبيان ابسط العلاقات الاجتماعية وهي الأخوة في الإنسانية.

المصادر والمراجع

❖ بعد القرآن الكريم.

١- اقتصادنا، محمد باقر الصدر، ت(١٤٠٢هـ) تحقيق مكتب الإعلام الإسلامي فرع خرسان، ط٢، ١٤٢٥هـ، مكتب الإعلام الإسلامي.

٢- الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن نعمان العسكري البغدادي، الملقب بالشيخ(المفيد) ت(٤١٣هـ) تحقيق مؤسسة ال البيت (عليهم السلام) ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، دار المفيد للطباعة ولنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

٣- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر: ٦/ ٣٨٢، ت(٨٥٢هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت -لبنان.

٤- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلسي، محمد باقر، ت(١١١١هـ) تحقيق محمد باقر البهبودي، ط٣، المصححة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار إحياء التراث العربي- بيروت – لبنان.

٥- تأويل الآيات، شرف الدين الحسني، تحقيق مدرسة الإمام المهدي(عج)، ط١، ١٤٠٧هـ، أمير – قم.

٦- التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، ت(٤٦٠هـ) تحقيق احمد حبيب، ط١، ١٤٠٩هـ، مكتب الإعلام الإسلامي.

٧- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ت(٧٤٤هـ) تحقيق يوسف عبد الرحمن د. ط، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان.

٨- الحقوق الاجتماعية- مركز الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ- مهر- قم

٩- جامع احاديث الشيعة، البروجردي، ت(١٣٨٣هـ) د. ط، ١٤٠٧هـ، منشورات مدينة العلم، آية الله العظمى الخوئي، قم – ايران.

١٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن- أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت(٣١٠هـ) تحقيق خليل الميس، د. ط، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان.

١١- الجامع لأحكام القرآن- لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت(٦٧١)، ط٢، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

١٢- السنن الكبرى، البيهقي، أبو بكر حمد بن الحسين بن علي، ت(٤٥٨هـ) د. ط، دار الكتب العلمية بيروت.

١٣- سير أعلام النبلاء- الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت(٧٤٨هـ)، تحقيق شعيب الارنؤوط، ط٩، ١٤١٣- ١٩٩٣، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان.

١٤- شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، المحقق الجلي، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن، ت(٦٧٦هـ) تحقيق صادق الشيرازي، ط٢، ١٤٠٩هـ، مطبعة أمير – قم.

١٥- صحيح البخاري- أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، ت(٢٥٦)، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٦- الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي، ت(٨٧٧هـ) تحقيق محمد الباقر، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

١٧- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ت(١٠٣١هـ) تحقيق احمد عبد السلام، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٨- الكافي، الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي البغدادي، ت(٣٢٩هـ) تحقيق علي اكبر الغفاري، ط٤، حيدري، دار الكتب الإسلامية – طهران.

١٩- لسان العرب- ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ت()، نشر أدب الحوزة ١٤٠٥، قم- ايران.

٢٠- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، ت(٥٤٨هـ) تحقيق لجنة من العلماء والمحققين، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان.
١٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، ت(٨٠٧هـ) د. ط، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، در الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
١٨- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، النوري، الحاج ميرزا حسين النوري، ت(١٣٢٠هـ) تحقيق مؤسسة ال البيت(عليهم السلام)، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
١٩- المسند، احمد بن محمد بن حنبل، ت(٢٤١هـ) د. ط، دار صادر، بيروت – لبنان.
٢٠- المعجم الأوسط- للحافظ ابي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت(٣٦٠هـ) قم تحقيق بدار الحرمين، د. ط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار الحرمين للطباعة والنشر.
٢١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ط٦، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
٢٢- معجم رجال الحديث- الخوئي، ت(١٤١١هـ)، ط٥، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
٢٣- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي، ت(٦٠٦هـ) د. ط. د. ت.
٢٤- مكاتيب الرسول(o)، علي الأحمدي الميانجي، ط١، ١٤١٩هـ، دار الحديث – طهران.
٢٥- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، محمد حسين، ت(١٤١٢هـ) منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية- قم.
٢٦- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، العاملي محمد عبد الحسين، ت(١١٠٤هـ) تحقيق مؤسسة ال البيت(عليهم السلام) ط٢، ١٤١٤هـ، مصر – قم.
٢٧- نظرات معاصرة في القرآن الكريم، الدكتور محمد حسين علي الصغير(معاصر) ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، دار المؤرخ العربي، بيروت- لبنان.